إعجاز القرآن

ولعل أحدهما إنما يلحظ غبار صاحبه ويطالع ضياء نجمه ويراعي خفوق جناحه وهو راكد في موضعه ولا يضر البحتري ظنه ولا يلحقه بشأوه وهمه .

فإن اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته - فما عليك منه إنما يخبر عن نقصه ويدل على عجزه ويبين عن جهله ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله .

وإنما قدمنا ما قدمناه في هذا الفصل لتعرف أن ما ادعيناه من معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمه وبديع تأليفه أمر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشتبه على ذي بصيرة ولا يخيل عند آخى معرفة كما يعرف الفصل بين طبائع الشعراء من أهل الجاهلية وبين المخضرمين وبين المحدثين ويميز بين من يجري على شاكلة طبعه وغريزة نفسه وبين من يشتغل بالتكلف والتصنع وبين من يصير التكلف له كالمطبوع وبين من كان مطبوعه كالمتعمل المصنوع .

هيهات هيهات هذا أمر - وان دق - فله قوم يقتلونه علما وأهل يحيطون به فهما ويعرفونه إليك إن شئت ويصورونه لديك إن أردت ويجلونه على خواطرك إن أحببت ويعرفونه لفطنتك إن حاولت وقد قال القائل .

للحرب والضرب أقوام لها خلقوا ... وللدواوين كتاب وحساب .

ولكل عمل رجال ولكل صنعة ناس وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ولكن قد قل من يميز في هذا الفن خاصة وذهب من يحصل في هذا الشأن إلا قليلا .

فإن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها - من التناهي في معرفة الفصاحات